تنافـــس

هما حزبان شقيقان لأم وأب لم يقع بينهما خلاف ، ولن يقع بينهما خلاف . لم تكن بينهما فرقة ولن تكون بينهما فرقة . أصدق تصوير لما بينهما من ألفة ومودة ، ومن صلة لن تنقطع وحب لن يصيبه الصدأ هو قول الشاعر القديم :

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما .·. بأسحم داج عوض لانتفرق

ولايتفرق الحزبان إن شاء الله فقد نهضا بالحكم معا ، وأقاما فى الحكم معا ، وسينزلان عنه معا يوم تتحقق نبوءة « الديلى تلغراف » أو قبل ذلك بقليل ، أو بعد ذلك بقليل . وسيذوقان معا لذة البعد عن الحكم كما ذاقا معا لذة القرب منه والبقاء فيه . ولكن من الذى يستطيع أن يزعم أن التنافس لا يكون بين الأشقاء فالتنافس ظاهرة من ظواهر الحياة ، ودليل من أدلة القوة وأثر من آثار النشاط .

وحزب الاتحاد قوى من غير شك ، لأن بين أعضائه وزير التقاليد وحزب « الشعب » قوى جدا لأن زعيمه رئيس الوزراء . وحزب الاتحاد قوى جدا لأن زعيمه رئيس الشيوخ . ومادام الحزبان الشقيقان قويين إلى هذا الحد الذى يتجاوز كل حد فلابد من أن يظهر بينهما التنافس ليتبين الناس أى الوزيرين أجدى على حزبه وأنفع له ، أوزير الزراعة على حزب الشعب أم وزير التقاليد على حزب الاتحاد ؟ وليتبين الناس أى الرئيسين أكثر بركة وأوسع نعمة على حزبه : أرئيس الوزراء لحزب الشعب أم رئيس الشيوخ لحزب الاتحاد ؟ وهذا التنافس ينفع ولا يضر ، ويحسن ولا يسىء . فقد يكون التنافس فى الخير كما يكون التنافس فى الشر . وقد يكون الاستباق الى النفع كما يكون الاستباق إلى الضر .

وحزب الشعب والاتحاد شقيقان لم يختلفا ولن يختلفا ، صديقان لم يتباغضان ولن يتباغضا . وكلاهما جاد فى خدمة مصر ، حريص على نفعها ، فإذا تنافسا فلن يكون

كوكب الشرق فى ٢٩ - ٧ - ١٩٣٣

تنافسهما إلا فى الخير ، وإذا استبقا فلن يكون استباقهما إلا إلى النفع والبر والمعروف . وإذن فلابد من أن يتنافسا وقد تنافسا فى هذين اليومين ، فوزير التقاليد مسافر إلى أوربا ليستشفى ويستريح ، وقد يبحث فى أثناء ذلك عن أعضاء أجانب للمجمع اللغوى ، فيجب أن يسافر وزير الزراعة إلى أوربا ليستشفى ويستريح ، ولعله يبحث فى أثناء ذلك عن نوع من أنواع القطن ، ولون من الوان الكتان أو فن من فنون تجفيف التمر ، أو ضرب من ضروب تصفية العسل . فوزير التقاليد يغذى العقول ، ويحمى الأخلاق . ووزير الزراعة يغذى الأجسام ويحمى الجلود من البرد والقيظ وكلاهما خليق أن يفكر فى الناس إذا استشفى واستراح . وقد شعر حزب الاتحاد بخطر هذه الرحلة التى هم بها وزير التقاليد فاحتشد لتوديعه واحتفل لتشجيعة وألقى خطبا وشرب الشاى فشعر فى الحال حزب الشعب بخطر الرحلة التى هم بها وزير الزراعة فاحتشد للتوديع واحتفل للتشييع ، وقال كلاما وسمع كلاما ولكنه سبق حزب الاتحاد بعض السبق ، فلم يشرب الشاى ولم يسقه للناس وإنما تعشى وعشى الناس .

ومن هنا كان حزب الشعب أكرم من حزب الاتحاد أو أغنى من حزب الاتحاد ، فطعام العشاء شىء ، وتناول الشاى والحلوى شىء آخر . والعشاء أطول بقاء فى البطون وأعسر هضما . والشاى قصير البقاء ، يسير الهضم . فحزب الشعب متفوق من الناحية المادية على حزب الاتحاد . وهذا طبيعى لاغبار عليه . فقد قلنا إن حزب الشعب مستأثر بوزارة الزراعة ، ووزارة الزراعة مسيطرة على ماتخرج الأرض من النبات وما تغذو الأرض من الضأن والمعز ودواجن الطير وماتثمر الأرض من الفاكهة والأب .

ولكن حزب الاتحاد تفوق على حزب الشعب من ناحية أخرى ، هى الناحية العقلية البيانية ، فقد كان خطباء الاتحاديين أكثر من خطباء الشعبيين . ولم يخطب فى الحفل الشعبى إلا وزير واحد ، هو زعيم حزب الشعب ووزير ماتخرج الأرض[1] وماتغذو من النبات والحيوان والثمرات .

وإذن فالحزبان متكافئان ، يتفوق أحدهما فى تغذية الأجسام ، ويتفوق الآخر فى تغذية العقول . ثم يتكافأ هذان النوعان من التغذية فإذا الحزبان مايزالان كما كانا من قبل ، وكما سيكونان دائماً فرسى رهان ، لايسبق أحدهما إلا ريثما يلحقه صاحبه .

---

(١) المراد محمد علام باشا وزير الزراعة

وكان الموضوع الخفى الذى من أجله احتفل الحزبان هو تلك الرسالة المشئومة ، رسالة الديلى تلغراف(١) . فلم يكن بد من أن يتنافس الحزبان فى الرد على هذه الرسالة وإقامة الأدلة الواضحة والبراهين الفاضحة على أن هذه الرسالة سخف من السخف ، وهذيان من الهذيان ، لاتغير من موقف الوزارة شيئا ، لأن موقف الوزارة ليس رهينا بما تقوله الصحف فى مصر أو فى بلادالانجليز ، إنما هو رهين بشيء آخر يعرفه الناس جميعا . وقد أعلنه رئيس الوزراء ألف مرة ومرة ، وهو رضا جلالة الملك وثقة البرلمان . ولم يكن بد من أن يستبق الحزبان إلى البراعة فى الرد على هذه الرسالة ، وقد استبقا والغريب أنهما تكافآ فى هذا أيضا . فلم يتفوق أحدهما على صاحبه قليلا ولاكثيرا . ولم يسبق أحدهما صاحبه قيدإصبع أو جناح ذبابة كما يقولون . ولم يفتح الله على أحد الحزبين المتنافسين بأن يزيد على ماأعلنه رئيس الوزراء ألف مرة ومرة حرفا واحدا ، وإنما أراد الحزبان المتنافسان أن يصطنعا فنونا من البيان فى التعبير عن هذا الموضوع . والغريب أنهما تكافآ فى هذه الفنون أيضا . فقد أراد وزير التقاليد أن يسخر من كتاب الانجليز ، ومن المعارضين المصريين ، فاصطنع الأدب الذى لايشبهه أدب ، والظرف الذى لايشبهه ظرف وارتفع عن لغة العامة إلى لغة الخاصة ، وعن لهجة الشعب إلى لهجة الوزراء . فقال إن هؤلاء الكتاب الانجليز يضحكون من ذقون الأغرار المعارضين . وأراد وزير الزراعة أن يذم هؤلاء المعارضين ذما سياسيا نزيها نظيفا بريئا عفيفا لايصدر إلا عن أصحاب الثقافة العليا والألسنة الطاهرة والطباع السمحة والترفع عن الفحش ، فقال إن غير الشعبيين والاتحاديين قد أعمت بصائرهم الشهوات والمصالح الخاصة ، فضلوا الطريق ، وراحوا يتخبطون . فكلا الوزيرين كما رأيت فرسا رهان فى كل شيء ، لايكاد

---

(١) كان مكاتب الديلى تلغراف يعتبر فى ذلك الوقت لسان حال وزارة الخارجية البريطانية . فنشر فى جريدته مقالا جاء فيه « طلب إبدال صدقى باشا برئيس وزارة أعظم منه نشاطا . وهذا القول يتفق مع المعلومات التى ذكرتها فى التلغرافات السابقة وهى أن الحكومة البريطانية ذاتها تطلب تبديلا كهذا . وأستطيع أن أضيف إلى ذلك أن السير برسى لورين – المندوب السامى فى مصر – اجتمع بالسيرجون سيمون وزير الخارجية البريطانية وتناول البحث فى أثناء هذا الاجتماع مسألة خلف صدقى باشا »

« إن المقامات الانجليزية المصرية تظهر قلقا كبيرا فى شأن الحالة التى أوجدها بقاء اعتلال صحة صدقى باشا وهو الآن فى أوربا يستشفى ومن المسلم به أنه لايستطيع أن يأمل العودة إلى القاهرة قبل أربعة أشهر على أنه قلما ينتظر أن يسترد صحته استردادا يسمح له باستئناف أعماله كالعادة . ولذلك لابد من التساؤل : هل تستطيع الوزارة التى كانت قوتها الوحيدة محصورة فى شخصية صدقى باشا أن تستمر طويلا على حكم البلاد فى هذه الظروف الحرجة سيما عودة متطرف الوفد إلى الهياج والثورة ؟ »

ونشرت صحيفة التيمس مقالا نحت فيه هذا المنحى .

أحدهما يبلغ الغاية حتى يكون الآخر قد بلغها . ولن يظفر الحزبان فيما يظهر بنتيجة حاسمة لهذا التنافس فيستبقان دائما دون أن يسبق أحدهما صاحبه . وسيتنافسان دائما فى الخير والمعروف دون أن يتفوق أحدهما على صاحبه فى الخير والمعروف . وستستفيد مصر من هذا التنافس المتصل والسباق الذى لاينقطع وستجنى من غير شك منه ثمارا عذبة فى الذكاء والمهارة ، وفى النبوغ والبراعة ، وفى أدب اللفظ وعفة اللسان . وسنتعلم كيف نذكر الضحك من الذقون ، وكيف نصف الخصوم السياسيين بأن الشهوات والمصالح قد أعمت بصائرهم فضلوا الطريق ، وراحوا يتخبطون . وإذا لم تقتد مصر بوزرائها فبمن تقتدى ؟ وإذا لم تقلد مصر وزير التقاليد فمن تقلد ؟

والظريف من أمر هذا التنافس أنه لم يأت بشىء جديد ، فقد عرف الناس رأى الوزارة فى مكاتب الديلى تلغراف وصدقوه وآمنوا به واستيقنوا أن الوزارة أثبت من المقطم ، وأرسخ من الأهرام . وقد عرف الناس رأى الوزارة وصدقوه ، وآمنوا بأنها قد قدمت لمصر مالم تقدمه إليها وزارة أخرى من النعم والآلاء فأنقذتها من الجوع وبرأتها من المرض ، ورفعت رأسها ، وحفظت كرامتها ، وردت عنها عدوان الأجانب وصدت عنها طغيان الانجليز . وقد عرف الناس رأى الوزارة وصدقوه ، وآمنوا بأن الأمة قد منحتها الثقة والتأييد ، واختصتها بالمودة والحب ، وكانت الإسكندرية أسبق المدن المصرية إلى الثقة بالوزارة والإيمان لها وفدائها بالأنفس والأموال . ومازالت الإسكندرية أحرص المدن المصرية على حب الوزارة وتأييدها ، وفدائها بالأنفس والأموال . ومازالت كل مدينة مصرية يخطب فيها وزير أسبق المدن المصرية إلى حب الوزارة وأحرصها على فدائها بالأنفس والأموال .

ومصر كلها أسبق من مصر كلها إلى حب الوزارة وأحرص من مصر كلها على فدائها بالأنفس والأموال . ومن يدرى ؟ لعل الحزبين الشقيقين الذين لم يتفرقا ولن يتفرقا لايتنافسان إلا فى الكلام ، ومأأيسر التنافس فى الكلام ومأأنفعه وأجداه فإنه يضحك ويسلى الهم ويهون احتمال الآلام .